الطريق من الظلام إلى النور

د. محمد عبد المحسن إبراهيم أبوشعيشع

الدنيا والحياة.... الصورة الكاملة
الخلاصة في أسباب الحزن والكدر
السعادة وطرقها
فوائد من الحياة وللحياة
جلسات التأمل والتفكر
البناء المعرفي والثقافي

Book Future
مستقبل الكتاب للنشر والتوزيع

الطريق من الظلام إلى النور

ⓒ دار مستقبل الكتاب للنشر و التوزيع ، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

شعيشع ، محمد عبدالمحسن ابراهيم ابو
الطريق من الظلام الى النور. / محمد عبدالمحسن ابراهيم ابو شعيشع .- جدة ، ١٤٤٣هـ
١٧٩ ص ؛ ..سم

ردمك: ٢-٨٠٢١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ و الارشاد أ.العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٣/٩٢٤٤

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٩٢٤٤
ردمك: ٢-٨٠٢١-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطريق من الظلام إلى النور

تأليف

د/ محمد عبد المحسن أبو شعيشع شرف الدين

١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

الباب الثاني
الدنيا والحياة..... الصورة الكاملة

البداية

ألهتك الدنيا وألهتني. شغلتك وشغلتني. أنساك بريق الحياة وترف المعيشة ولمعة البهجة والثراء أسئلة كثيرة يجب أن تدور في خلدك. غاب عن ذهنك أمور مصيرية عليك أن تفكر فيها. إلى أي الأقسام أنتمي؟ هل فكرت فيما مضى من عمرك مع أي الفئتين ستكون؟ هل ستكون مع أهل اليمين أم ستكون مع أهل الشمال؟ شغلتك الزوجة أم شغلك الأولاد. ربما يكون العمل قد سيطر على كل أفكارك وربما تكون السيارة التي حلمت كثيراً أن تقتنيها. ربما تسعى بكل جهدك أن تبني قصراً مشيداً أو بيتًا جميلاً تقطن فيه مع أولادك. تريد أن تفتخر وتتفاخر أمام جيرانك وأصحابك. أو لربما قد شغلتك صحبة فاسدة أغرتك باللهو واللعب والجلوس على المقاهي أو الذهاب إلى منصات إهدار الوقت وتضيعه لتفقد ساعات من عمرك قد منحك الله إياها لتستثمرها في طاعته.

حالك متغير

إذا تأملت في أحوالك منذ أن فتحت عينيك لترى هذا العالم المشاهد لنا، ستجد الزمان يتغير والأماكن تتقلب والأبدان تنتقل من حال إلى حال.

تجد البدن لا يثبت على حال، فهو بين صحة وسقم، بين شفاء وعلة، بين قوة وضعف. تبدأ الحياة طفلاً رضيعًا ضعيفًا لا تقوى على شيء سوى أن تبحث عن ثدي أمك لتلتقم بعض قطرات اللبن كي تجعل الدماء تستكمل دورتها في عروقك وتقيم صلبك الضعيف. ثم تقوى شيئًا فشيئًا حتى تصبح شابًا يافعًا قويًا تشارك في بناء مجتمعك. تقيم أسرة وتعول أب وأم قد تقدم عمرهما. ترعى زوجة وولد. ثم يسيطر عليك الضعف ثانية فتصبح شيخًا كبيراً لا يقوى على شيء، مثل الطفل يعتمد على غيره في قضاء حوائجه.

هذه الحياة التي تقاتل فيها أخيك وتفارق أبيك هي في الحقيقة هموم وقلق وأكدار. إذا أخذت نعمة أعقبها نقمة وابتلاء وأحزان. ليس فيها صفاء دائم. الصحة يعقبها المرض والوحدة يأتي عليها يوم وتصبح فرقة. انظر إلى حال الأسرة الواحدة: زوج وأم وأولاد، ماذا يكون مصيرهم في المستقبل؟ الأب والأم، أصبح إلى القبر مثواهم. الأولاد، أصبح كل واحد منهم مشغولاً بأسرته، ليس لديه الوقت لأن يرفع سماعة الهاتف ويرطب قلب أخية بكلمة فيها ود ومحبة واطمئنان. كل واحد فيهم أصبح في واد وهكذا تدور الدائرة وتتغير الأحوال. لا يثبت حال إلا القليل ممن أراد الله له ذلك. هكذا هو أمر الدنيا لا تستقر على حال ولا يدوم شيء فيها: متغيرة ومتبدلة من حال إلى حال. ألا تذكر مشهد هؤلاء الكهلة عندما تأتي صورتهم في ذهنك وأنت طفل. ألا تذكر جدك وجدتك وهم رقود في

الأسرَّة وقد خارت قواهم ووهنت أجسادهم فهم لا يستطيعون الحركة إلا إذا استعانوا بأحد أحفادهم أو ذويهم. ألا تذكر من كان معك بالأمس القريب من الأصدقاء وفجأة أسلم الروح إلى بارئها، ثم هم الآن في عالم غير الذي أنت فيه. إنه أمر يدعوك أن تعيد التفكير فيما أنت عليه الآن. إذا كنت على معصية فجاهد النفس على تركها. وإذا كنت على طاعة فعزز النفس وقوها وادعوها إلى الازدياد والسير على نفس الطريق.

القلوب أيضًا بين الحال وضده. قلبك لا يثبت على حال فهو بين المحبة والبغض. إذا كنت من أصحاب الفطرة النقية غرست فيه الحب، ملأته بالنقاء والطهارة والصفاء. أما إذا كان حالك على غير ذلك وجدته أسوداً حاقداً حاسداً. فقد تزعزع الإيمان فيه. يعتمد صفاء القلب وطهارته وسواده وخبثه على نيتك من فعل الأشياء. فاذا كانت النية صالحة أحببت الخير لغيرك وأصبح القلب نقيًا طاهراً ساكنًا سعيداً. واعلم يا سيدي أن قلبك بين أصبع من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء. عليك برجاء الله ودعاءه لكي تثبت على الحق والإيمان. عليك بتطهير قلبك من دنس المعاصي. هذا القلب له أحوال عجيبة. تجده تارة متعلق بزخرف الدنيا وبهائها، وتارة متعلق بكثرة المال وبناء المنازل وامتلاك القصور الفارهة، وتارة أخرى إذا وقر فيه الإيمان واستقر تجده متعلقًا بالآخرة وجنان الرحمن.

أيامك تدور بين السرور والحزن، بين انقباض النفس وانبساطها. يوم تجد فيه نفسك سعيداً ويوم آخر يحيط بك القلق والاضطراب وتتكاثر

عليك الأحزان. فترة يحيط بك الفقر وفترات أخرى يُبسط لك في الرزق.

أنت في مسيرة الحياة تنتقل من مكان إلى مكان. سعيك إلى الرزق يجبرك على الانتقال والاستقرار في مكان قد لا ترتاح إليه نفسك، لكن هذه هي الحياة، كفاح وكدح ومشقة. لا بد أن تبذل فيها الجهد. لا بد أن تبحث عن المكان الذي فيه مصدر طعامك وشرابك. تهاجر من مكان لآخر ومن مدينة إلى أخرى، بل ومن دولة إلى أخرى لتحسين وضعك المعيشي. هكذا يكون الحال في هذه الدنيا تقضيها بين الانتقال والتغيير والاستبدال والتقلب من حال إلى حال. الدنيا ليس فيها استقرار، فالاستقرار والثبات على أحسن الأحوال لن تجده إلا في الحياة الأبدية التي تكون عند أهل الجنان في الآخرة. وذلك إذا كنت من أهل النعيم وأهل الجنة وأهل الرضوان.

مشكلات ومنغصات

ربما يعتريك شعور بعدم الرضا بسبب نعمة قد سُلبت منك أو هم قد أصابك أو ضيق صدر قد ألمَّ بك. تسير في الدنيا حائراً يائساً. تذهب هنا وهناك لعل ذلك الشعور أن تتناثر أجزاءه عندما تنشغل بالنظر إلى ما حولك من مناظر الطبيعة الخلابة أو بالحديث والمسامرة مع أحد أصدقائك المقربين. لكنك سريعاً ما تعود إلى هذا الواقع الذي اعتدت عليه من مزامنة مشاكل الحياة. معضلات الحياة كثيرة لا تنتهي مهما بَلَغْت درجات القمة التي يراها البشر بمنظورهم. قد يأخذك التفكير كثيراً في

مجريات الحياة إذا كنت ممن لا يملكون مسكن يحميهم من حرارة الصيف وبرد الشتاء. كل ما يشغلك كيف تقوم بتدبير الأموال بشتى الطرق وتبذل من عمرك السنين والسنين حتى تستطيع أن تكتنز بضعة آلاف من الأموال أو حتى اقتناء بعض الجرامات من الذهب والفضة التي تمكنك من شراء منزلك. إنه حلم طويل الأمد وكلما اقتربت من تحقيقه تخسر جزءاً كبيراً من عمرك في هذه الحياة.

ربما تكون من هؤلاء الذين منَّ الله عليهم بالمسكن والمأوى، لكن يراودك حلم آخر أن تقتني سيارة تنقلك من منزلك إلى مقر عملك؛ لأن الطاقة أصبحت لديك في انحدار والقوة أصبحت في النقصان والتحمل والصبر على مشاق السفر أصبح يتضاءل شيئًا فشيئًا.

ربما تكون شابًا يافعًا لم تتزوج لأن الزواج أصبح كالنجم الذي يلمع في السماء يحلم برؤيته كل شاب، لكنه لا يستطيع. لقد انقلبت الأمور رأسًا على عقب وتغيرت المفاهيم وتبدلت الأصول وزادت التكاليف عن القدرة. تحول الزواج الذي هو في الأصل أمر يسير إلى أمر صعب الوصول إليه. ازدادت المعضلة واتسع نطاقها. تريد أن تغمض عينيك فترى أمامك أسرة كاملة العدد من زوجة وولد وبنت حتى تشعر وتستلذ بالغريزة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها وهي حب البنين والبنات.

إذا كنت في دراسة فأنت تحلم بمستقبل عامر بالبشرى. لاريب أن الإنسان بطبيعته هكذا يفكر. إنها سلسلة من المراحل تمر على الإنسان من

طفولته إلى شبابه إلى شيخوخته. يحاول فيها الارتقاء من مرحلة إلى أخرى بتحقيق أكبر الفوائد التي يحددها طبقاً لمفهومه عن الحياة. تدرس بجد واجتهاد وتريد أن تصل إلى أرقى الأماكن والمناصب. بمجرد تخرجك من الجامعة تصطدم بصخرة من العقبات تعرقل مسيرتك فلا تجد ما تصبوا إليه نفسك مما كنت تنتظره أو تحلم به من عمل أو مستقبل باهر.

ربما لا تكون من هذا ولا ذاك. فقد ألمَّ بك اليأس وسيطر عليك عدم الأمل من تحقيق حلم كنت تسعى إليه منذ صغرك. ربما تكون قد انغمست في التفكير فيما يحيط بك من غرائب وما يفعله البشر من عجائب تنكرها الفطرة البشرية السليمة. لقد بلغ بك الأمر في التفكير مبلغاً عظيماً لا تتحمله. ازدادت عليك الضغوط وتعقدت الأمور وأصبحت غير قادر على إيجاد الحلول لأن الأمر فاق عن الحد.

إنها معضلات كبرى يعاني منها الكثير منا وخاصة الشباب في زهرة ومقتبل عمرهم. هكذا يراها كل إنسان يفكر في الحياة وتصعب أكثر على إنسان يحاول أن ينال أكبر قدر ممكن من حطام هذه الدنيا. تشتد عليه القضية ويعيش أحياناً في فكر دائم قد يتشتت عقله وقلبه من كثرته. وأحياناً أخرى قد يترك القضية وما فيها فيعيش داخل نفسه فلا يجد إلا العزلة مخرجاً. وأحياناً أخرى قد تتحمل كل هذا فتكتسب الخبرة وتتعلم من الحياة وتتعايش معها راضياً بما قدره الله لك.

قد يصيب نفسك ضعف يديرك إلى الخلف ويؤخرك. فتتجه إلى تدمير نفسك بما يوحيه إليك شيطانك من فقدان الأمل وبعث اليأس في النفس وقتل الصبر الذي يعتبر السلاح الوحيد للإنسان في هذه اللحظات بعد الاعتصام بالله واللجوء إليه.

دعني أطرح عليك سؤالاً: أما جلست مع نفسك في لحظة صدق وإخلاص وتجرد من الهوى تخاطب نفسك وتسألها: ما الذي أوصلني إلى هذا الأمر؟ ماذا حدث؟ هناك شيء خاطئ في إدارة أمور حياتي؟ هل أنا المخطئ أم هم؟ أم أنني أعطي الأمر أكبر من حجمه؟ هل الحياة بهذا القدر من التعقيد والصعوبة؟

هنا أجيبك بالطريقة التي تدركها فطرتك. انظر إلى الكون وانظر إلى نفسك. ستجد أنك مخلوق لا يمثل بأي شكل من الأشكال وجه مقارنة بالمخلوقات الأخرى. هذا بالإضافة أن الله كفل لك ولغيرك من المخلوقات الرزق، وما أمرك إلا أن تسعى إلى هذا الرزق حتى تحصل عليه. كل شيء موجود، الطعام والشراب وغير ذلك من متطلبات الحياة.

قد يراودك سؤال: ما هي المشكلة إذن؟ وهنا أقول لك أن المشكلة في فهمك وإدراكك الخاطئ لحقيقة الحياة التي نعيشها. هذا الفهم هو الذي أوصلك إلى هذه الدرجة من الشقاء والتعاسة والانشغال وكثرة الهموم. لو أنك وضعت كل شيء في نصابه ومكانه وأعطيت كل شيء قدره ما عانيت ولا تعبت ولا مللت، وإنما ستسعد وتنعم بالاستقرار

والهدوء. لقد جعلت الدنيا غايتك ومأربك. تريد أن تسيطر على كل شيء فيها وهذا هو المستحيل بعينه.

لقد خلقك الله في هذه الدنيا لأهداف عليا وغايات سامية وما منعك أن تتمتع بما فيها. لكن المتعة والسعادة التي تنشدها بمعناها الحقيقي لن تبلغها إلا بالطريقة التي أرشدك الله إليها. وما أصابك الآن من معاناة وضيق هو بسبب انحرافك عن منهج الله. خلق الله هذه الدنيا لتكون وسيلة لك لتحقيق غايات عظمى قد خلقك الله من أجلها. الدنيا قد خُلِقَتْ لك وما خُلِقْتَ أنت لها. هنا أمر هام عليك فهمه وخطأ أوقعت نفسك فيه. أنك سخرت نفسك للدنيا مع أن الأمر يجب أن يكون على العكس تماماً وهو أن تستخدم هذه الدنيا لتنفيذ مهامك ووظيفتك الأساسية في هذه الحياة. إن تركت نفسك للدنيا أصبحت كالدمية التي يلعب بها الأطفال، تتأرجح بين رياحها هنا وهناك دون أن تدري إلى أين تدفع بك.

العالم المادي: هل يحقق السعادة؟ ماذا لو طغت عليك المادة؟

الإنسان بطبيعته يبحث دائماً عن راحة البال. غالب الظن عند أصحاب الفكر أنهم يرون أن الفطرة الإنسانية دائماً ما تسعى إلى تحقيق هذا الهدف أثناء مسيرة الحياة. كل يبحث ويسعى جاهداً نحو تحقيق هذا الهدف الأسمى بطريقته التي يراها ومعتقده الذي يعتقده. تجد البعض يبحث عن راحته عن طريق المال ويسخر شتى الوسائل لتحصيل أكبر قدر

ممكن من المادة التي تشبع رغباته. وكل ذلك لعله يجد بغيته المنشودة من السعادة وراحة البال. بعد فترة وجيزة من الزمن وبعد بلوغ مراده وبعد أن استحوذ على أموال لو ظل طيلة حياته ينفقها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، يكتشف أنه أصبح أسيراً وعبداً لشيء كان يظن أنه هو المالك له، يفعل به كيفما شاء. لقد وجد نفسه أسيراً في دائرة مغلقة من التشتت والحيرة التي لا يستطيع أن يخرج منها بسهولة ويسر. شيئاً فشيئاً يدفعه هذا الطريق إلى الشروع والاستسلام لوسائل كان يعتقد أنها لا تتناسب بأي حال من الأحوال مع مبادئه وطريقة حياته ومعتقداته. هذا لأنه أصبح سجيناً في عالم ضيق لا يستطيع الخروج منه لأنه أصبح محاط بجيوش وخيوط من الأفكار. لقد أصبح داخل دائرة مغلقة لا يستطيع الفكاك منها. إنه الآن أصبح على يقين أن هذا العالم ليس هو العالم الذي ينشده، لأن هذا العالم المادي الذي يعيش فيه عبارة عن لذات خادعة وأهواء ضائعة قد استغرق فيها وشبع منها وأصبحت بالنسبة له لا تمثل شيئاً من سعادة أو طمأنينة كان يبحث عنها.

إذا بحثت في الدنيا عن المال والمادة فقط وأصبح قلبك مليئاً بحبهما وخاصة المال، فإن هذا المال سيطغى على روحك حتى يصبح سيداً لها. ستصبح إنسان بروح مسخرة لمادة جافة لا شعور لها ولا قيم. تصبح روحك مثل شقيقها (المال) لا تشعر ولا تعطف. لقد قُتلت فيها المشاعر والأحاسيس الرحيمة. تجعلك هذه المادة تقاتل أخاك أو تكره

زوجك أو تفرق بينك وبين ولدك أو تحجر على أبيك أو تأكل حق أختك أو تظلم جارك أو تحسد كل ما لديه نعمة. تجعلك هذه المادة إنسان بلا روح طيبة. تنسى المودة والرحمة لأنك أحببتها لذاتها. تريد أن تقتني المال وتجمعه دون أن تنفقه في مصادره التي استخلفك الله عليها. بل وربما قد يقتل هذا المال الإنسانية التي هي أروع شيء فيك، إنسانية الرحمة والحب، إنسانية الفطرة السليمة، إنسانية الإسلام التي تحب الخير وتبغض الشر. تعلقك بالسيارات والقصور والطعام والشراب يغذي بدنك وجسدك وشهواتك لفترة قصيرة، لكن تأتي اللحظة التي تمل فيها الروح وتسأم وتتضجر وتكره ذلك النوع من الحياة. ذلك لأنك غذَّيت البدن وأشبعته وأهملت الروح وتركتها. والروح هي مكمن الإحساس بالسعادة. فإذا اسعدت روحك استقر بدنك وسكن واطمأن. أما إذا تعست الروح فقدت لذة الحياة ونعيمها. لذلك عليك أن تستخدم الدنيا وما فيها لخدمتك بالقدر المعقول. اجعلها نبتًا يثمر في الآخرة لأن الآخرة فيها الحياة الحقيقية الخالدة.

لقد أصبح هذا العالم المادي كابوس يطاردك في حياتك: قلق دائم وفكر قائم وصراع مرير من أجل مادة فانية. أصبحت الحياة عبارة عن أحداث متكررة لا لذة فيها ولا جديد. كل يوم يشبه الذي قبله. نفس اللعبة ونفس الطريقة ونفس الرتم الحياتي المتكرر. فجأة تكتشف أنك على شفا حفرة من الموت. فقد بلغت من الكبر عتيا. تبدأ في التفكير فيما مضى. ماذا

فعلت وأي شيء حققت؟ هل هذا هو الذي كنت تصبوا إليه؟ هل هذا هو الذي كنت تصارع وتكافح من أجله؟ أم أنك قد سلكت طريقاً خاطئاً. لقد استغرقت كثيراً في التفكير فيما مضى من حياتك. تقول في نفسك: كنت في بداية حياتي أصبو أن أعيش حياة هادئة تسعد بها الروح ويسكن بها الجسد. لكن أهواء الدنيا قد دفعتني إلى الذهاب إلى وسائل قد تتعارض مع مبادئي التي نشأت عليها وفطرتي السليمة التي كنت أتعايش بها.

هنا يبرز السؤال: هل الصحيح أن أتزهد في مادة هذه الحياة لكي أسعد؟ والجواب بالطبع لا، فالنفس البشرية جُبلت على حب المادة وزُرعت فيها الشهوة والهوى. إذاً لا مانع مطلقاً من أن تسعى لتعيش في يسر من الحياة وتعمر الأرض بقدر ما تستطيع، وأن تسعى لأن تعيش حياة كريمة تتوفر فيها السبل والوسائل التي تعينك على الحياة حتى تضمن للجسد الراحة والسكون. لكن الخطأ كل الخطأ أن تجعل الدنيا وما بها من ملذات وشهوات تُحولك إلى أسير لتلك الشهوات والملذات حتى تنسيك الأمر الأهم الذي خُلقت من أجله لتجد نفسك في النهاية تعيش حياة يملؤها القلق والاضطراب والتشتت.

قد يكون الفقر نعمة وقد يصبح الغنى نقمة.

ربما تفزع من هذا التعبير، وربما يتملكك العجب عندما تقع عينيك على هاتين الكلمتين: «نعمة الفقر». بل ربما تتطور لديك ردة الفعل فتسمني بالجنون والاضطراب الفكري، فأنَّ لعاقل أن يطلق على الفقر

نعمة؟ هنا أريد أن أحيلك إلى المغزى من وراء كلماتي وهو: هل حقيقة يمكن أن يأتي من وراء الفقر نعمة؟

أقول نعم يا سيدي وبكل تأكيد ويقين. الفقر الذي أعنيه هو الفقر الذي يأتي من وراءه بساطة العيش والحياة. الناس في هذا الزمان يرون من يُفَضل الحياة البسيطة فقيراً. وهو أن تعيش الحياة بأقل الوسائل التي تمكنك من العيش، ولذلك لعدم وجود المال الذي يعينك على تغيير وتطوير طرائق وأساليب المعيشة.

هنا أدعوك أن تتخيل معي حالك وقت أن كنت فقيراً ومحتاجاً وتقارن ذلك بحالك وقت أن أصبحت غنياً ميسور الحال ولديك الكثير من وسائل الترفيه والراحة، لديك الكثير من الأموال. تعددت لديك أماكن السكن وتوفرت وسائل المواصلات وأصبحت تمتلك أكثر من بيت وسيارة. أصبح المال في يديك يجري ويسيل كالماء الذي يجري في البحار.

تذكر معي حالك وقت أن كنت تتمنى وتحلم بأن تحقق هذه الأمنيات: أن تمتلك بيتاً جميلاً وسيارة وأموالاً طائلة. كنت تعتبر هذا حلماً صعب المنال، لكنك لم تفقد الأمل. اتبعت الوسائل والأسباب التي تعينك أن تحقق غايتك. أتذكرك جيداً عندما كنت قليل المؤنة، تسكن بيتاً متواضعاً، لا تزينه زخارف ولا تحيط به الورود. كان بيتك من الطوب اللبن، مسقوفاً بأغصان الشجر. أتذكر جيداً قسمات وجهك الذي كان

يبدو عليه الرضا بالحال. كنت تأكل طعاماً بسيطاً لم تلحق به التعقيدات والتركيبات التي ابتدعوها في زماننا هذا. أستشعر حالتك وأنت تضع الطعام في فيك وكأنك تأكل الشهد على الرغم من بساطته. كان مذاق الطعام طيباً وكانت البركة تحيط به من كل جانب.

كنت تخرج صباحاً مع بداية إشراقة يوم جديد. تملؤك العزيمة لتأدية يوم من العمل الشاق لتعود إلى بيتك بقوت يومك مع غروب شمس اليوم الذي أوشك على الانتهاء. تعيش يوماً وتقضي زمناً وتؤدي عملاً وتبني أسرة وتطعم زوجة وولداً وترضي أباً وأماً وتصل رحماً وتزور أخاً وتجالس عماً وخالاً لتكمل يوماً بدأ بعزيمة وسعي نحو تحصيل رزق طيب وتنهي يومك باستراحة قلب ورضا نفس، لأنك تشعر بقيمة الرسالة التي تؤديها ورقي العمل الذي تقوم به.

هكذا كنت تعيش في ماضيك. دائماً ما كان لسانك ينطق بكلمات الحمد والثناء على الله. تردد الأذكار التي تحيي قلبك وتسعد نفسك. تبدأ يومك بصلاة الصبح وتلي ذلك بذكر الله فينتظم يومك. لا تشعر بضيق في نفس أو كآبة في صدرك لأنك في ذمة الله. لقد أديت ما عليك من صلوات. أنت تعلم أن من صلى الفجر في جماعة فهو في أمان الله وحمايته. هكذا كان دأبك وهكذا كان يومك. إذا نُودي للصلاة تهب مسرعاً لتؤدي ما عليك من فروض فرضها الله عليك. أنت دائم الذكر لله تدعوه دائماً بأن يرزقك ويوسع عليك ويبارك لك في أسرتك.

كنت حينئذ في حاجة إلى المال، لكن فطرتك السليمة وإيمانك الراسخ في هذا الوقت يدعوك دائماً إلى الاستعانة بالله. لكن بحكم طبيعتك البشرية التي تصبو دائماً إلى النظر لما يتمتع به الآخرين من نعم، كتوفير المال أو رفعة المنصب أو قوة التعليم، تملكتك الأماني أن يكون لديك مثل ما لديهم وهذا لا يعيبك ما دمت تلتمس الحصول على هذه النعم وفق منهج الله. وعليه فأنت تسعى بكل ما لديك من وسائل لتحقيق حلم كاد بالنسبة إليك مستحيلاً، لكنك تعلم في قرارة نفسك أن خالقك الذي تحبه وتقترب منه بأداء ما عليك تجاهه وبعدك عما حرمه والتزامك بأوامره، قادر على أن يحقق لك كل آمالك في هذه الحياة بأن يعطيك المال والجاه ويعلي قدرك بين الناس. كل هذا يزرع في داخلك الثقة ويمدك بالقوة التي تعينك على أداء مهامك الصعبة. هذا بدوره كان يضفي عليك هالة من السعادة النفسية والطمأنينة القلبية ويعطيك شعور الرضا بما أنت عليه. كل هذه نعم لو تُشترى بالمال لضحى الأغنياء بكل ما لديهم من أموال من أجل الحصول عليها.

في هذه الآونة وهذه الحالة التي تعيشها في حاجة إلى المال والجاه وغير ذلك، وفي هذه الحالة من الفقر المدقع الذي كنت تعيشه يرزقك الله بجسد معافى وولد صحيح وزوجة مطيعة، لأن الله مطلع عليك يعلم حالك فيعطيك من الوسائل على قدر حاجتك. مالك القليل يقابله صحة جيدة لا تحتاج إلى الكثير من الأموال كما يحتاج السقيم. لديك ولد سليم صالح

وزوجة مريحة طيبة قنوعة تعينك على أداء مهامك الشاقة في هذه الحياة. وهذا كله بسبب قربك من طاعة الله وذكرك إياه وتضرعك له واتصالك به. ليس هناك ما يشغلك عنه ولم تأتِ إليك حينئذ تلك المغريات حتى تلهيك عن خالقك وتنسيك ذكره وتشغلك عن التفكير فيه. ما زالت عينك تدمع وقلبك يخشع. ما زلت تقوم الليل لتدعوه وتناجيه. ما زال قلبك متعلقاً به في كل لحظات حياتك. ألا تتذكر عندما تبدأ يومك بالخروج صباحاً من البيت ولسانك يردد ذكر الله. حينئذ كنت تسير مطمئن القلب، مبتسم الوجه وكأن النور يشع من جبهتك. قدمك يسير على الأرض، لكن روحك كأنها تطير كالطير يحلق بأجنحته في السماء طرباً وسروراً. كنت تعيش في هذه الآونة وكأنك تشعر برضا الإله عليك لأنك كثيراً ما تجد نفسك في مواضع الطاعة، بعيداً عن مواضع المعاصي. كانت تحيط بك رفقة صالحة فهم من بني جلدتك وحالهم مشابه لحالك. كنت تنتقل من طاعة إلى طاعة. بالطبع كل هذا ليس غريباً عليك فليس هناك ما يبعدك عن طريق الله.

أما الآن فقد تحققت أحلامك وحصلت غايتك وبلغت مأربك وكثر مالك وبُني بيتك وامتلكت السيارات فكيف حالك؟ أصبحت وسائل الترفيه تحيط بك من كل جانب. والهاتف يأتي تلو الهاتف والتلفاز على يمينك والحاسوب على يسارك والهاتف في يديك. أصبحت في عالم مفتوح الحدود من كل جانب. أصبح كل شيء متاح: المرغوب وحتى الممنوع. تنوعت المواصلات وأصبح نادراً أن تسير على قدميك، فكيف

حالك الآن؟ وما هو شعورك؟ لماذا تجعد وجهك؟ أين ذاك النور الذي كان يشرق على جبهتك؟ أين تلك الابتسامة التي كانت ترتسم على شفتيك؟ أترك لك التعليق والإجابة.

القلق من المستقبل

لقد كثرت همومنا يا عزيزي من أجل أولادنا وتوالت متاعبنا من أجل أموالنا. اشتد فزعنا على ما تحويه خزائننا. ارتعدنا من الخسارة وتشاءمنا من التجارة وامتلأت قلوبنا بالأحقاد على جيراننا. زاد الحسد وطفح الكيل من الطغيان. كل هذا بحجة بحثنا عن أرزاقنا.

أحياناً تتزاحم عليك الأفكار ويسيطر عليك القلق. تجد نفسك خائف من المستقبل المجهول الغيبي. يساورك القلق خوفاً من عدم ضمان الرزق وقلته. عندما تراودك هذه الأفكار عليك أن تسأل نفسك سؤالاً، أليس لك خالق يرزقك؟

الرزق قدره وقسمه الله لكل المخلوقات. انظر إلى الطير يغدو خماصاً ويروح بطاناً. انظر إلى الجنين في بطن أمه. لقد أطعمه الله في تلك الظلمات وأخرجه من رحم أمه ليصير إنساناً كائناً بيننا يأكل ويشرب كما نأكل ونشرب. انظر إلى عالم البحار عالم فسيح تضطرب فيه الأمواج وتعيش فيه الأسماك على اختلاف أنواعها يرزقها الله ويطعمها.

اعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. هذه هي القاعدة يا سيدي لو علمناها جيداً لاستقر فؤادنا وقل حسدنا وتلاشى بغضنا لبعضنا البعض. إن الله يرزق عباده كلهم، الذي يؤمن به والذي لا يؤمن به.

الخلوة: صراع مع النفس

أن تكتب عن الخلوات، هذا يعنى أنك تعبر عن ذاتك الحقيقية. أن تتحدث عن خلوات نفسك، فهذا يعنى أنك تكشف أدق الحقائق والأسرار عن النفس الإنسانية. أن تعبر عن خلواتك، فهذا يعنى أنك تتعامل مع سمات إنسانية وأسرار بشرية، ربما لا تتكشف إلا من خلال الذات التي تتحدث عن نفسها. ربما يستطيع الإنسان أن يتعايش مع نفسه متقوقعاً في إطار عالمه الخاص، متجنبا تلك الصدامات التي يلاقيها في تعامله مع أفراد ذلك المجتمع البشرى الذي يشكل جزءاً منه. لكنه بعد فترة قد تكون وجيزة وقد تكون طويلة يكتشف أن هذا العالم الذي ظل فترة من الزمن محتفظاً به، قابعاً في داخله، مليء بالعديد من المساوئ التي قد تتجاوز أفعال أفراد المجتمع البشرى الذي عاش فيه وما زال.

الخلوة تحدد قيمة الإنسان الذي يسكن بداخلك. النفس التي بين جنبيك هي ألد الأعداء اللذين يتربصون بك ويكيدون لك. إنها النفس الأمارة بالسوء التي لا ينتهي لهيبها ولا تخمد نيرانها إلا إذا قويت نفسك بالنفس اللوامة التي تصارع وتنافس تلك الأمارة بالسوء. إذا استطاعت النفس اللوامة أن تنتصر على النفس الأمارة بالسوء، فاعلم أنك في طريقك

إلى الارتقاء إلى درجة النفس المطمئنة.

معنى أنك تبقى في خلوة مع نفسك يعني أنك تواجه أصعب التحديات وأقوى الصراعات، لأن هذه النفس جُبلت على الأمر بالسوء. تزج بك في مستنقعات المعاصي وتُسول لك الشهوات على أنها الثمرة التي يجب أن تلتقطها قبل أن يأتي آخر وينتزعها. إنه صراع مرير لا ينتصر فيه إلا إنسان قوي الإرادة، ثابت الجأش. يعرف جيداً قيمة الحياة ومغزاها. يعلم سر وجوده وأين ينتهي به المسير.

إذن يا سيدي معنى أن تنتصر على أهواء نفسك وتمنعها من انتهاك حرمات الله في وقت خلواتك، فأنت بذلك قد بلغت غاية الأماني. لأنك وضعتها على الطريق الصحيح. أنت بذلك أصبحت كالجبال الشامخة والهضاب العالية والقمم الشاهقة في قوتها. لا تستطيع الرياح العاتية بقوتها أن تهز حصاة فيها إلا بإذن خالقها. إنها قوة إذا وُفقت لنيلها، فأنت بذلك أصبحت ذلك الإنسان الذي ارتقى بنفسه من ضحالة المعاصي إلى أسمي الدرجات والقيم التي ينبغي أن تكون عليها.

دوامة الفراغ

فقدان القدوة وضياع الغاية وتمييع الأهداف أوقعك في دوامة من الفراغ. ذلك الفراغ الذي يجعلك تنسلخ من ذاتك شيئًا فشيئًا. يجعلك تعيش في عالم من الأوهام ودائرة من الأفكار التي تسبح بعيداً عن الواقع. تتميع النفس وتنزلق عن مسارها الحقيقي التي يجب أن تكون عليه. عندما

تضل الطريق تجد نفسك تائهـًا ملبداً بغيوم الضلال. تجد نفسك أسيراً لعالم افتراضي يسبح فيه خيالك.

أنت كإنسان خُلقت لغاية واحدة لا ثاني لها. أن تعبد الله كما شرع لك وكما حدد لك طبقًا لشريعة وُضعت خيوطها وأصولها ومبادئها في كتاب الله الذي أُنزل على خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد ﷺ. عندما تفقد هذه الغاية التي خُلقت من أجلها تقع في عالم التيه الذي يجعلك تتقلب بين أمواج الظلام. كل موجة تدفعك إلى الأخرى. لا تدري إلى أين ينتهي بك المطاف. تارة تجد نفسك غارقـًا في عالم الشهوات والملذات. تحاول إضاعة الوقت الزائد عليك لأنك لا تجد غايتك الأساسية أو عملك الحقيقي. أصبحت مسكينًا لا تحسن التصرف في مالك الحقيقي. مالك الحقيقي الذي هو عمرك ووقتك الذي تضيعه هباءً منثوراً. إنها دوامة الفراغ التي تؤدي بك إلى حالة من الملل والكآبة والضيق، لا لشيء إلا لأنك وقعت فيها بسبب أنك انحرفت عن وظيفتك وفطرتك وسجيتك النقية الطاهرة.

عالمك الافتراضي

تستيقظ من رقدتك وعقلك يحاول أن يستعيد نشاطه. تجده أول ما يفكر، يفكر في تلك الآلة التي اعتدت على الجلوس أمامها طوال فترة يقظتك. شغلك الشاغل أصبح هو استكمال عناصر العالم الافتراضي الذي أصبحت عضواً فعالاً في بنائه. تحاول أن تتم بناء هذا العالم عن

طريق تواصلك مع هؤلاء الضحايا الذين وقعوا مثلك في شباك هذا العالم الفسيح. انعزلت عن مجتمعك البشري. قل تواصلك الفطري مع بني جنسك من أسرتك وأقاربك. أنت تسعى أن تُكون لنفسك عالم ليس فيه من صفات البشر إلا تلك الحوارات التي تُدار بخفية وسرية. تأخذك مرة بعد مرة إلى عالم الانعزالية لتنفرد مع نفسك. تحاول أن تستجمع كل مشاعرك وأحاسيسك لينتهي بك المطاف إلى كلمات جافة تجعلها مدار تلك الحوارات. أصبحت المشاعر والأحاسيس البشرية علامات ورسومات تعبر عما ينتابك من خلجات ومشاعر تدور في داخلك.

ابتعدنا كثيراً يا عزيزي عن عالمنا الحقيقي. عالم الإنسان الواسع الذي يتميز بمنظومة أخلاقية راقية تميزه عن جميع المخلوقات الموجودة في هذا الكون. أصبحت حياتنا عبارة عن لايكات وتعليقات ورسومات وعلامات تعبر عن ذاتنا. قل التواصل الإنساني من خلال الاجتماعات والحوارات الأسرية. أصبح الجميع يعيش في هذا العالم الافتراضي الذي لا يعبر بأي حال من الأحوال عن ذلك المخلوق الراقي. ذلك الإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض.

إنها مأساة كبرى تتسع دائرتها شيئًا فشيئًا وتتعقد حبالها مع مرور الوقت دون أن ندري. قل التواصل بيننا بسبب تلك الأصنام التي وضعناها أمام أعيننا ليل نهار. ننظر إليها ولا نأخذ منها في غالب الأمر إلا ضياع القيم وفقدان التواصل الحقيقي. أصبحنا نحاول أن نجد حلولاً لمشاكلنا عبر

حوارات تُدار من خلال تلك المواقع، وتناسينا أنه من شروط بناء علاقات جيدة وتفاهمات سريعة عميقة أن نجلس على مائدة تجمعنا ننظر إلى بعضنا البعض ونضع لأعيننا فرصة تلتقي ببعضها، لأن الأعين كما تعرف، هي لغة تواصل وتفاهم حتى تتآلف القلوب والمشاعر الطيبة وتكتمل قيم الود والمحبة. التعاطف لا يأتي إلا باقتران المشاعر مع بعضها والمحبة لا تجتمع في القلب إلا إذا اقترب القلب من القلب. فأنت مثلاً إذا وضعت يدك في يد أخيك تشعر بتجاذب المشاعر وتنشط مشاعر الحب والاحترام والمودة. أما إذا أصبحت في فسحة عن إخوانك لمدة من الزمن زاد الجفاء وبعد التقارب بين القلوب وجفت المشاعر. هكذا هي الفطرة الإنسانية السليمة التي لا تكتمل إلا بتكاتف البشر مع بعضهم البعض.

مواقع التواصل في حياتك

مما يعتقده الكثيرون من الشباب والمتعلمين، وربما الكثير من علماء الدين أن مواقع التواصل الاجتماعي التي غيرت حياتنا وعقولنا وبيوتنا من الأشياء المباحة التي لا تعود بالضرر، بل سهلت الكثير من الأمور وأصبحت سبيلاً للتواصل بين الناس. ذلك الأمر الذي كان في الماضي من الصعوبة بمكان تحقيقه. ونحن لا نقحم أنفسنا في جدال حول ما إذا كانت هذه الوسائل من المباحات أو المحرمات. لكننا نأخذ ما نلمسه واقعا ينعكس من خلال ما نراه متجسداً في عقول وأفكار ومعاملات شبابنا اليوم. نرى بعض هؤلاء اللذين كانت لديهم مبادئ ومناهج

يحافظون عليها ويلتزمون بها أصبحوا اليوم لا يحافظون عليها بحكم أن وقتهم لم يعد يسمح بذلك. أصبحت المسائل كثيرة وإذا سألت أحدهم عن المشاغل التي تشغله عن أولوياته في الحياة يقول لك:

كنت في حوار امتد لساعات طوال مع أحد الأصدقاء الأعزاء الذي يسكن في محافظة أخرى أو خارج البلاد نتحاور ونتذكر أيام الماضي. نناقش موضوعات أخرى كثيرة تشغلنا وإذا انتهيت من الحوار، ابدأ في متابعة الأخبار أول بأول: أخبار الأصدقاء الذين أتابعهم على هذه المواقع. كل واحد فيهم ينشر منشوراً أتابعه وأعلق عليه. أحدهم ينشر أضحوكة فأعلق عليها بأضحوكة أخرى وآخر ينشر صورة ربما عادية، وربما تكون لفتاة تجذب الانتباه فأتمعن في جمالها وأفتتن بها، وإذ لم أفتتن بها أعظه بأن ذلك من المحرمات، أو أتأمل في هذه الصورة فأخذ منها ما تأخذه الغريزة البشرية من النفس، ثم أقول استغفر الله. ثم أعود ثانية فأتابع آخر المستجدات على الساحة السياسية والاقتصادية والفنية التي كنت أعتبرها من الأشياء الثانوية في حياتي. أصبحت دون أن أدري أتابع ذلك يوماً بعد يوم. هكذا يمر الوقت دون أن أدري وينتهي اليوم دون فائدة. لم أعد أقرأ القرآن كما كنت أقرأ ولم أعد أتابع معلم يعلمني حديث أو آية كما كنت أتعلم. لقد خرجت هذه المبادئ من حياتي كما يخرج السهم من الرمية. أصبحت تائهاً. أصبحت كالكرة أسير حيثما وجهتني أحذية وأقدام هذه الكائنات الافتراضية التي أصبحتُ جزءاً منها.

يواصل الحديث قائلاً:

ها هي حياتي. تخليت عن مبادئي وأصبح معلمي الأساسي وقدوتي الرئيسية وموجهي الأول هو تلك المواقع. ذلك أن آخذ من كل واحد منها خبراً فيغير شيئًا في شخصيتي. أصبحت شخصيتي مشتتة بين تلك الثقافات الغريبة المختلفة التي تشكلت منها إنسانيتي المزيفة. أصبحت غريبًا في مجتمعي، بعيداً عن أبي وأمي وأخي وأسرتي. أصبحت أرى أشياء في ديني لا تتفق مع عقلي القاصر الذي لا يدرك كل شيء ولا يفهم كل شيء. كل هذا لأني تركت نفسي لصنم يوجهني. يلقي على الأخبار فأتابعها وأقتنع ببعضها وأنكر بعضها حتى لو كان الذي أقبله لا يتفق مع مبادئي وأعرافي وتربيتي. للأسف أصبحت إمعة أقلد ما يصدره إلى دون أن أفكر. أصبحت متقمصًا شخصية غير شخصيتي تمامًا. فقدت قدوتي الحسنة. انحرفت عن نهج حبيبي ومعلمي وقدوتي محمد ﷺ.

وأكمل لي يا سيدي يقول موجهاً حديثه إلى صاحبه الذي يسير معه حاملاً هاتفه المحمول

أسير معك في الطريق ماشيًا على الأقدام لنتحاور ونتسامر. أجدك معي بجسدك تسير كما أسير وأتحدث معك فيتكلم لسانك دون أن تفقه ما تقول. أحاول أن ألفت انتباهك فلا أجد مجيبًا علي. لقد أخرجتَ يا صديقي من جيبك آلة تنظر فيها وتتمعن وعقلك سارح ومتأمل فيها،

كأن الذي يمشي معك هو ظلك وليس إنسان مثلك. ما هذا الذي تفعله بي؟ هل وصلت لهذه الدرجة من الجفاء الروحي الذي جعل هذا الصنم الذي بيديك يتحكم في عقلك وروحك وفكرك حتى جعلك تنسى وتسهو عم من يسير معك؟ ارتباطك العجيب بهذه المادة التي بين يديك لفت انتباهي بشدة فجعلني أتطلع إلى معرفة ما تفعل. أراك تنظر إلى شاشة هاتفك. تنظر إلى نفس الصور التي رأيتها معك مراراً. إن كانت صوراً لأسرتك أو لأصدقائك أو غير ذلك، فهي نفس الصورة ونفس المادة التي اعتدت أن تراها. ثم أراك تقلب صفحات هاتفك فتنتقل إلى حقل آخر من الفيديوهات والصوتيات وتنهي واحداً وتبدأ آخر وكأني صنم أو جماد تجره وراءك دون عناء منك. لقد نسيت نفسي وأنا أسير معك حتى تلاقينا بفلذة كبدك الذي جلس معنا. سلمنا عليه وقبلناه. إنه طفل ذو منظر بهي وعيون ذات جمال ووجه يملئه الابتسامة. لكنني وجدت طفلك يسير على نفس دربك، فإذ به يمسك جهازاً مثل ما في يديك ويقلب بيده بين الألعاب الإليكترونية الموجودة به، وهو لم يشعر أصلاً بحنان تلك القبلة الأبوية التي تلقاها على خديه لتشعره بالرحمة والمودة. إنه مشغول في عالمه لا يدري عن ماذا نتحدث سويًا وفيما نداعبه. إنه طفل مسكين، يجلس معنا بجسده، لكن عقله في عالم آخر، لأنه رأى والده في عالم آخر أيضًا.

إنها مواقع التباعد الاجتماعي وهدم بنيان الأسرة

وأنت يا سيدي باعتبارك الزوج ورب الأسرة، أصبحت لا تستطيع التخلي أو البعد عن هذا العالم الذي احتل وسيطر على معظم وقتك. فقد انتقل العمل إلى البيت، فأصبحت الأسرة لا مكان لها في حياتك. زعمت وبكل قوة أن أعمالك ومهامك تفرض عليك أن تكون في اتصال دائم مع أقرانك وزملائك من خلال هذا العالم، لأنك بزعمك ستفقد الكثير والكثير إذا انقطعت ولو في لحظات نومك عن هذا العالم. لقد تناسيت يا سيدي أنه كما أن للعمل مسئولية عليك، فالأسرة لها حق كبير عليك. كلنا راع وكلنا مسئول عن رعيته. الأب راع في بيته ومسئول عن رعيته وعن كل أفراد أسرته.

الأسرة هي البؤرة الأساسية التي تتشكل منها دائرة حياتك. تجلس مع زوجتك. تجدها مشغولة ومنعزلة في عالم آخر. تقرأ المنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي. ربما تعجب ببعض ما يُنشر عليها فتبتسم وتضحك وتسخط وتحزن لبعضها الآخر فتُصاب بالكآبة والهم. هموم خارجية ومسئوليات داخلية لا يتحملها رجل أو عشرة رجال، فما بالك بامرأة؟ إنها تسرح بخيالها مع تلك المنشورات. تضحك أحيانًا وتحزن أحيانًا وأحيانًا أخرى يتملكها السأم والملل والضجر. تجد تلك المشاعر مرسومة على ثنايا وقسمات وجهها. تحاورها فلا تجد للحوار متعة ولذة. تكلمها فتجد إجابة باردة سمجة. لقد أخذت اللايكات والتعليقات جانبًا

واسعـًا من عالمك وعالمها. إنها فقدت التواصل مع العالم الأسري الذي هو أصل مهدها. لم يقف الأمر عند ذلك فقد التفت لكما، أيها الزوج وأيتها الزوجة، الطفل المسكين والشاب التائه الحزين الذي لم يجد من الأب والأم أنيس يعوضه. إنه يحاول أن يقلد، لعله يجد ملجأ يهرب إليه من تلك الحياة الكئيبة التي أصبحت تظل بظلالها وتتشابك خيوطها على مسكنكم. ذهب الطفل أو الشاب إلى الخارج يبحث عن صاحب سوء أو قهوة يضيع عليها هذه الساعات الفائضة عن حاجته. هذا الطفل أو الابن المسكين الذي وجد نفسه مجبراً لأن يعيش بنفسه ولنفسه، لأنه فقد التواصل مع أبيه وأمه وأخيه وكامل أعضاء أسرته، حتى مع الآخرين خارج الأسرة. للأسف أصبح الطفل الذي يعد البذرة التي ستنبت بعد حين، فريسة لنفسه التي لا تفقه من أمور الدنيا وخبرات الحياة إلا القليل. فتلك النفس التي بين جنبيه تحتاج إلى دعم وتواصل بشري. تحتاج إلى يد رحيمة تمرر أصابعها على جسده لتشعره بالأمان والثقة. اختفى من حياته الداعم الذي يعلمه، كيف يتكلم مع غيره ويتواصل؟ لقد وجد أبـًا وأمـًا يعيشون في عوالم أخرى ويحاولون أن يستعيضوا تقصيرهم مع أبنائهم بهدية مدمرة قد تشغل الأبناء عن إزعاجهم وهم مشغولون بتلك التفاهات التي يتابعونها على تلك المواقع. فيقدمون لهم هاتفـًا من أحدث ما خرج، مليء بالقذائف الفكرية والقنابل الموقوتة التي تدمر أفكارهم وتقضي على مبادئهم دون أن يدري أحد.

طفلك يا عزيزي هو البذرة التي تزرعها. إذا لم تحسن حرثها ستفسد بلا أدنى ريب. أنت مع طفلك لا بد أن تراعي ذلك، لأنه هو بذرتك الحقيقية في هذه الدنيا التي ستحصد ثمارها في الدنيا والاخرة. تلك البذرة إما أن تكون بذرة صالحة منتجة أو بذرة فاسدة ضائعة. عندما تترك ابنك وحيداً في عالم ليس له حدود. تتركه لكي يعلم نفسه بنفسه دون مرشد أو واعظ يوجهه، فأنت بذلك تتركه في صحراء جرداء لا زرع بها ولا ماء ولا يوجد بها إلا الشوك. بكل تأكيد سيقع فريسة في شباك التيه والضلال. سيجد نفسه تائهاً غارقاً في مستنقع أهوائه التي توجهه يمنة ويسرة دون أي اهتداء بعقل أو رشاد.

ومما يندى له الجبين في هذه الآونة أن رب الأسرة إن أراد أن يكافئ ولده على شيء أنجزه أو نجاح قدمه، يأتي له بهاتف محمول ذي إمكانات غاية في الحداثة والوالد نفسه لا يحسن استعمال هذا الجهاز ولا يدري خطورته على ولده. الأخطر من ذلك أنه يتركه مع هذه الآلة الخطيرة توجهه ويبدأ الولد في التدرج حتى يحيط بكل إمكانات الجهاز من عمليات، ثم يتعلم الدخول إلى عالم الإنترنت. ذلك العالم المفتوح الذي لا نهاية له.

هنا يترك الطفل أو الشاب المسكين عالم الأسرة والمجتمع الذي يعيش فيه، ثم يبدأ بتحجيم علاقته بالآخرين سواء مع أعضاء أسرته أو أقاربه أو زملائه ليعوض ذلك ويدخر ذلك الوقت للجلوس ليلاً ونهاراً أمام

هذا الصنم. لقد أصبح عضواً فعالاً في عالم افتراضي وجد نفسه فيه لا يستطيع الاستغناء عنه. لقد أصبح لديه من الأصدقاء على هذه المواقع ما يفوق الألف أو الألفين أو أكثر من ذلك بكثير. يحاول أن يوفر الجهد والوقت ليتواصل مع هؤلاء في حوارات مفتوحة لا يمكن إغلاقها إلا عندما ينتاب الشخص الملل والكلل والتعب، ويشعر بحالة من فقدان الوعي التي لا يستطيع معها أن يكمل هذا العدد الهائل من الحوارات، فيذهب إلى النوم لعله يستريح.

عندما يستيقظ يحثو حثوات قليلة من المشروبات الساخنة حتى يستعيد نشاطه. إنه يستعد لجولة أخرى وهي النظر إلى التعليقات والإعجابات التي جاءته على منشوراته التي قام بنشرها بالأمس. يحاول بذلك إقناع نفسه أنه يريد أن يوسع أفقه وثقافته ويزيد وعيه بحجة أن هذه المنشورات والتعليقات تعطيه القدرة على حل مشكلاته. لا يدري هذا المسكين أنه يزيد العقدة عقداً أخرى، فهو ينعزل شيئًا فشيئًا عن عالم الإنسان الحقيقي الذي يجب أن يقوم على التواصل واللقاء.

تبدأ الأسرة في التفكك ويجد الأب جفاء من جانب الابن عندما يدور بينهما حوار لم يتكرر منذ زمن بعيد. فالابن لا ينتبه إلى كلام أبيه ولا يعطيه اهتماما لأنه مشغول بالنظر إلى هاتفه. يتابع الأخبار التي نُشرت على حساباته المختلفة. هو بالطبع غارق في بحار هذا العالم الفسيح الذي يجرده شيئًا فشيئًا من مجتمعه الإنساني. والعكس صحيح فيما يتعلق

بعلاقة الوالد مع ولده والزوجة مع زوجها والأم مع ولدها. بهذا الشكل تتهدم العلاقات الاجتماعية والإنسانية، ويصبح الجفاء والبعد سيد الموقف والمحدد الرئيسي للعلاقات بين البشر في هذه الآونة.

عالمك الخاص

عجباً لأحوال البشر. تنعزل عن التعمق في شئونهم وتبتعد عن التعرف على مساوئهم وعدم التدخل في أمورهم. تعيش عالمك الخاص وهم مصممون على اختراق هذا العالم الذي تملكه وحدك. تقول وتكرر أنك إنسان، صاحب كيان، لك رؤيتك وتستطيع أن تحدد وجهتك وترسم معالم طريقك وتضع الخطط لنفسك. تحب أن تحتفظ بأسرارك وتدير شئونك وتحدد مهامك. لك رسالتك ولديك مبادئك. قد تختلف وقد تتفق مع غيرك فيما يتعلق بإدارة شئون الحياة، فالطرق والأشكال تتعدد وتختلف من فرد لآخر. لكن الكثير منهم متشبثاً بتلك العادة الذميمة، مصمماً على اختراق ما يخصك. تحاول أن توضح لهم على استحياء بأنك لا تحب التدخل في شئون غيرك لكي يدرك ويفهم أن لكل فرد خصوصيته وعالمه الذي يديره بنفسه إلى أن يطلب الاستعانة من الآخرين إذا عجز عن الإدارة. لكن للأسف الشديد يبدو على هؤلاء بلادة المشاعر وفقدان الإحساس والسذاجة الفكرية.

العجب من هذا الأمر يا سيدي جعلني أردد هذه الأسئلة بيني وبين نفسي وكأني أطرحها على هؤلاء: ما الذي يفيدكم عندما تندس أنوفكم

للتطلع إلى معرفة أحوال غيركم؟ لماذا يلازمكم السعي الحثيث لمعرفة أسرار وخبايا الغير؟ والقول المفيد لهؤلاء اللذين يتسمون بهذه الصفات أن هذا الأمر لن يعود عليكم إلا بالضرر لأنكم إذا اكتشفتم نعمه لا توجد عندكم، حينئذ سيُدَنَّسُ قلبكم بالغيرة والحسد. المرء الذي يبتلى بهذه الأمراض سيكون إنسان قد فقد جزء كبيراً من راحة البال لأنه سيصبح مشغولاً بغيره ويسخط على حاله ولن يرضى هذا المريض بالقسمة التي قسمها الله له.

نهاية الرحلة والضيف الذي لا يستأذن

تمر عليك الأيام تلو الأيام. اللحظات والثواني تتمم الدقائق والدقائق تتمم الساعات وكل ذلك ينحت من عمرك نحتًا. كأنك تأتي بصخر وتبشره بشراً حتى يصير رماداً. هكذا تتكرر الأحداث عليك. كل يوم يمر ينقص منك شيئًا. تنتظر ساعة الدعوة التي يدعوك إليها الضيف الذي لا يستأذن وهو الموت. يدعوك الموت دعوة صادقة لا ريب فيها. الإشارات تأتيك تباعًا بداية مما تراه عينك من مشاهد هؤلاء اللذين آتاهم داعي الموت من قبلك. يخبرك بأنه قادم إليك قصداً وعمداً. يحيط بك. دعوته مصحوبة بالإشارات العديدة التي تؤكد لك أنه حتمًا سيأتيك لكنها لا تؤكد اللحظة والميعاد الذي سيفاجئك به. كأن لسان حاله يقول لك: جئت إليك لأنهي أحلامًا قد عايشتها وأنهي لذات قد سايرتها وأغلق أبوابًا كانت مفتوحة وأمحق ملذات وشهوات كنت تعشقها. كأنه يقول لك لقد عشت من الدهر

حينـًا وقد غفلت عن ذكري. تناسيت أمري بأني إليك قـادم. تعلقـت بعشـيقة مـن سـمتها الغـدر وصـفتها التقلـب. عشـت الأيـام غـافلاً ناعسـًا كأنـك في غطيط النوم متعمقـًا ملتحفـًا بلحاف سميك جعلك في غفلة ونوم عميـق لـم تستيقظ منه إلا عندما وجدتني محيط بك.

مـا زال المـوت يحـدثك قـائلاً لـك: ألـم تـدرك أنني حقيقـة لا بـد أن تدركها ومصير لا بد أن تلحق به مثلما لحق بغيرك من بني جنسـك. فعليـك أن تضـع دائمـًا نصـب عينيـك صـورة المـوت الـذي يـأتي بغتـة دون إذن فيخطف الروح التي بين جنبيك دون أن يستشير أحداً أو يأخـذ بقـول أحـد لأن الأمـر جـاء مـن ملـك الملـوك، حكمـه نافـذ ولا معقـب لحكمـه. هـذا الموت الذي يختطف الـروح في لحظـة، لا يعـرف طفـلاً ولا شـابـًا ولا فتـاة ولا شيخـًا كبيراً، لا يفرق بين أحد، بين غني وفقير، بين قوي وضعيف، بـين أبيض وأسود، بين رجل وامرأة. الكل أمامه سواسية.

إذا أدركت وفهمت وعقلت فعليك أن تستجيب لنداء الفطرة السليمة والعقل الحكيم والدين القويم بأن تستقيم علـى الطريـق المسـتقيم الـذي لا اعوجـاج فيـه. إذا اسـتقمت عليـه فـاعلم أنـك قـد أصـبت الهـدف العظـيم وحققت المجـد الـذي يسـتمر إلـى أبـد الآبـدين، وذلـك لأنـك سـتنال رضـا الرحمن الرحيم الحكيم العليم، الخالق العظيم الذي برضاه وعفـوه وكرمـه سيدخلك جنات النعيم التـي لا يـدرك نعيمهـا إلا خالقهـا الغنـي الكـريم. لا يستطيع أي عقل أن يتصور جمالها وصفاتها وأشجارها ونخيلهـا ومسـاكنها

وقصورها. فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأخيراً..... إذا أردت أن تعرف القيمة الحقيقية لهذه الدنيا فاجلس برهة من الوقت أمام المقابر

الوقوف أمام المقابر له شأن كبير. إنها صورة شديدة تَهُز الكيان وترعد النفس. تنظر من حولك فترى سكون قد أحاط بك وهدوء قد غطى المكان من كل جانب. إذا وقع بصرك على بابها ترى نافذة ضيقة قد أحاط بها الطوب من كل ناحية. وإذا تخيلت ما بداخلها ستتذكر في الحال أنه كان إنسان يعيش بجانبك. يكلمك وتكلمه. أحياناً كان يبتسم وأحياناً أخرى كنت ترى العبوس على وجهه وأحياناً تتذكر أن الضحك لم يفارق رسمة وجنتيه وحال شفتيه. وأذكر لك شعوري وإحساسي لما زرتها. وقفت أمام المقابر والأفكار تجول بخاطري يمنة ويسرة. حينئذ تذكرت حديث أبي الذي هز كياني.

لما تدهور الحال بجدران تلك المقابر عزم أصحابها على إعادة ترميمها. إنهم يشيدوها استعداداً لاستقبال ضيوف جدد ليحلوا مكان ما سبقهم. لما عزموا على ترميمها أو إعادة بنائها اختلفوا فيما بينهم. فقد عزم بعض منهم على أن يتوارثوا فيها. كل واحد منهم يأخذ حقه فيها. عجبت لذلك عجباً شديداً وقلت في نفسي: آه يا ابن آدم حتى الصراع وصل بك أن تتقاسم على مقابر تُدفن فيها الأموات ليرحلوا من حياة مؤقته منتقلين إلى حياة أخرى لا ندري مصيرهم فيها.

لما ذكر لي أبي أنهم نقلوا عظام الموتى إلى مكان بجانب المقابر تخيلت أجسادهم أنها كانت أحياء تسير بيننا يكلمونا ونكلمهم، يضاحكونا ونضاحكهم. لكن الواقع الآن يقول إنهم ليسوا بيننا. تملكني الخوف، لا أحد منا يعرف مصائرهم هل يُعذبون أم يُكرمون؟ كل ذلك في علم الله. ما شغلني هو نفسي. ماذا سيكون مصيري عندما أكون في نفس مقامهم الآن؟ إنه شعور من الصعوبة بمكان أن تصفه. قلت في نفسي إذا أردت أن تعرف القيمة الحقيقية لهذه الحياة التي نعيشها فاجلس برهة من الوقت أمام هذه المقابر أو تذكر ولو لحظة تلك العظام التي تآكلت ولم يبقَ منها إلا ما شاء الله له أن يبقى.

أيتها الحياة! ليس فيك شيء يستحق الانتباه إلا لا إله إلا الله، محمد رسول الله. أيتها الحياة! مالك تستحوذين على عقلي بهذه الطريقة، وأنت ليس لك من القدر ما يماثل جناح بعوضة!

خلاصة الأمر في حقيقة الدنيا أن:

- هذه الدنيا كالبيت الذي له بابان باب تدخل منه وآخر تخرج منه. لكن المسألة في باب الخروج كيف ستخرج. هل ستخرج إلى جنة عرضها السماوات والأرض أم إلى نار حرها شديد وعذابها أليم، لا يتحمله بشر. فلا تجعل كل همك في الحياة أن تجمع من نبتها الفاني وتكثر من فتنها المنتهية وتستزيد من نعيمها المؤقت. إننا في سفر وقريبًا سينتهي. ما علينا إلا أن نستثمر هذا السفر المؤقت أحسن استثمار إلى أن نبلغ منتهاه.

• هذه الدنيا التي تفضلها على حياة الخلود ما هي إلا دنيا ناقصة سريعاً وتنتهي لا تساوي شيئاً إذا تمت مقارنتها بيوم واحد مقداره خمسين ألف سنة. إذا قارنت عمرك كله وعمر آباءك وأمهاتك بيوم الحساب فماذا تكون النسبة؟ فكر جيداً.

• هذه الدنيا من الدنو والقرب. عمرها قليل وزادها ضئيل وملذاتها فانية. لا تمتد طويلاً. أمدها قليل. إذا انتهى أجلك فقد قامت قيامتك وانتهت دنياك. مهما طالت في نظرك فإنها قصيرة. مهما بلغت قوتك في أوج وازدهار عمرك وريعان شبابك؛ فلا بد أن يأتي عليك اليوم الذي تصبح فيه شيخاً كهلاً تضعف عظامك ويزيغ بصرك وتنطفئ أنوار حبيبتيك وترتعش يديك وتختل أعصابك ويقل جهدك وتضعف أناملك، ثم تودع هذه الحياة وتنتقل إلى حياة أخرى. هكذا تكون الدنيا وهكذا يكون مصيرك فيها. أما الآخرة فهي خير وأبقى للذين آمنوا بها وعملوا لها. خضعوا لله وخافوه ورجوه واطمأنت قلوبهم لدينه. هؤلاء يجدون من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. لأنهم صبروا على طاعة الله وعلى قدر الله. علموا أن بقاءهم في الدنيا من المحال، فكان هدفهم جليل وبغيتهم عظيمة. أرادوا الجنة فكان مصيرهم الخلود والبقاء فيها: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[الحجر: ٤٨].

• إذا شئت أن تفكر أكثر بشكل يحيطه الحكمة فتدبر ما مضى من عمرك. انظر أين أنت الآن مما مضى من حياتك. هل تستطيع أن تعيد هذه

الاوقات؟ إنها أصبحت في طي الزمان. ماضيك لا يعود. أصبح هيكلاً ليس له وجود إلا في ذاكرتك. أنت لا تستطيع أن تستعيد زمن الطفولة وتمرح بالألعاب والعرائس كما كنت تمرح وتسعد بهذه اللحظات التي لا يمكن تعويضها. المقصد يا عزيزي أن تستثمر تلك اللحظات والدقائق التي تمر من عمرك في أعمال طيبة صالحة تزيد من تقدمك نحو طريق السعادة.

• اعلم يا عزيزي أن لقاءك بخالقك يقترب أكثر وأكثر. لا تظن أن اللقاء بعيد. إذا مضى من عمرك سنة أو عشرون أو مائة أو أكثر، فإنما هي ساعة تنقضي. عندما يبلغك المشيب وتصبح على حافة الموت تتذكر ماضيك وكأنه ساعة وأوشكت على الانتهاء. حينئذ لو حاولت أن تتذكر ما مضى من عمرك بمراحله المختلفة، كأنه قد حدث بالأمس القريب. وتأمل معي في قصة الرجل الذي أماته الله مائة عام، ثم بعثه، قال كم لبثت، قال لبثت يوماً أو بعض يوم. ثم انظر إلى قصة أصحاب الكهف. لقد لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً. قال بعضهم لبعض: كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم. فعليك أن تعتبر وتتفكر في نفسك فان لم تعتبر، فتأمل في قصص السابقين. انظر إلى ما يحدث حولك! اعتبر مما يمضي من عمرك! انظر إلى حال الناس ليلاً نهاراً. ستسمع من ينادى عليه في أبواق المساجد، لقد انتقل فلان إلى حياة أخرى.

المختصر المفيد

قال تعالى:

❖ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام: ٣٢].

❖ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس: ٢٤].

❖ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾[الكهف: ٧-٨].

❖ ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦].

❖ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ١٣١].

❖ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[القصص: ٦٠-٦١].

❖ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص: ٧٧].

❖ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩ـ ٨٠].

❖ ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٤].

❖ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣].

❖ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٢٨ـ ٢٩].

❖ ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٩ـ ٤٠].

❖ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[الشورى: ٢٠].

❖ ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الشورى: ٣٦].

❖ ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف: ٣٢ ـ ٣٥].

❖ ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾[محمد: ٣٦].

❖ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الممتحنة: ٦].

❖ ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥].

❖ ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[الأعلى: ١٦ ـ ١٧].

❖ ﴿ وَلَلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[الضحى: ٤].

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* **المقدمة**	٧
* **الباب الأول: أسس في توجيه خطابي**	١٣
تحياتي إليك	١٣
وبك يا إلهي أستعين	١٣
الأنموذج المثالي والقدوة الحسنة	١٤
الكتاب النافع من خيرة الأصدقاء	١٦
وأنت يا قلمي	١٧
«ألا ليت الشرور بلا نقاط»	١٨
الزمن الجميل	١٩
أنت من تصنع الظروف الخاصة بك	٢١
قصتك معي	٢١
ندائي إليك	٢٣
وإليك سيكون الحديث	٢٥
لما طرحت عليك سؤالي (ماذا بك؟)	٢٦
سيدي أُقدر حجم معاناتك	٣٠

الموضوع	الصفحة
ولسان حالك سيدي يقول	٣١
هل تعلم من أنت؟	٣٢
حياتك الحقيقية	٣٣
وظيفتك في هذه الحياة	٣٤
اجعل كل أفعالك عبادات ترضي الله	٣٧
الطريق الصحيح	٣٨
إلى أي الأقسام تنتمي	٣٨
دائمـًا ما يكون المؤمن في اختبار	٤٠
قد يصاب المؤمن بالحزن	٤١
حقيقة عمرك الذي تقضيه على الأرض	٤٢
كثرة المباحات ووسائل الترفيه والتنعم	٤٤
*** الباب الثاني: الدنيا والحياة**	٤٧
البداية	٤٧
حالك متغير	٤٧
مشكلات ومنغصات	٥٠
ماذا لو طغت عليك المادة؟	٥٤
قد يكون الفقر نعمة وقد يصبح الغنى نقمة	٥٧
القلق من المستقبل	٦٢

الموضوع	الصفحة
الخلوة: صراع مع النفس	٦٣
دوامة الفراغ	٦٤
عالمك الافتراضي	٦٥
مواقع التواصل في حياتك	٦٧
إنها مواقع التباعد الاجتماعي وهدم بنيان الأسرة	٧١
عالمك الخاص	٧٥
نهاية الرحلة	٧٦
إذا أردت أن تعرف القيمة الحقيقية للدنيا	٧٨
خلاصة الأمر في حقيقة الدنيا أن:	٧٩
المختصر المفيد	٨٢
* **الباب الثالث: الخلاصة في أسباب الحزن والكدر**	٨٥
ظلم النفس بالمعصية	٨٦
ويأتي ضعف النفس من وراء تلك المعاصي	٨٨
ثم تأتي لحظات الهزيمة والانكسار	٨٩
الغضب: جماع الشر كله	٩٠
القلق والاضطراب	٩١
الملل	٩٣
حواجز القلوب وقرين الشر	٩٤

الموضوع	الصفحة
والخلاصة في الأمر	٩٧
*** الباب الرابع: السعادة وطرقها**	٩٩
وأنت عن السعادة تبحث	٩٩
علاقتك الجيدة بخالقك	١٠١
حبك لمحمد ﷺ	١٠٤
التوازن بين حاجات الجسد ومتطلبات الروح	١٠٥
السعادة الحقيقية ليست في المال والشهرة وإنما	١٠٧
سر سعادتك أن تعود إلى فطرتك السليمة	١٠٨
سعادتك في انشراح قلبك وسعة صدرك لحكم الله	١١٠
إنما النعيم نعيم القلب	١١٠
الحب أساس من أسس الفطرة السليمة	١١٢
كنزك المفقود	١١٤
قد تكون المنحة في الابتلاء	١١٦
المرض ابتلاء قد يأتي من ورائه الخير	١١٨
للسعادة طرق أخرى: أمك وأبيك	١٢٠
قيامك في جوف الليل	١٢١
صوت المؤذن يناديك	١٢٢
وتلك أيضـًا من أسرار سعادتك	١٢٣

الموضوع	الصفحة
المختصر المفيد	٢٢٤
* **الباب الخامس: فوائد من الحياة وللحياة**	١٢٧
عبادة الله تغنيك عن كل شيء زائل	١٢٧
القرآن حياة القلب	١٢٧
عش إنسانًا ولا تحيا كالأنعام	١٢٨
المنظومة الأخلاقية ركن ركين من بنائك	١٢٨
إذا كانت المقدمة صحيحة قوية كانت النتيجة عظيمة جليلة	١٢٩
فكر قبل أن تقرر	١٣٠
لا تتبع هواك فإن الهوى خداع	١٣٠
كل ابن آدم خطاء، فلا تستحي أن تعتذر	١٣١
إذا بلغ بك الكِبْر منك مبلغًا فتذكر حديثي إليك	١٣٣
وُلدت وحدي وأموت وحدي	١٣٤
* **الباب السادس: جلسات التأمل والتفكر**	١٣٧
تفكر وتأمل حتى تزداد قربًا من الله	١٣٧
تلك النطفة	١٣٧
ثم انظر في المرآة وتأمل خلقتك	١٣٨
وانظر إلى حبيبتيك	١٣٩
آلة الترجمة الجبارة ومصدر التعبير	١٤٠

الموضوع	الصفحة
وهؤلاء البشر بين أبيض وأسود	١٤٠
وانظر إلى الأرض التي تمشي عليها	١٤١
وتلك الجبال الرواسي	١٤١
وتلك السماء التي تبهر العقول والألباب	١٤٣
وتلك النجوم التي تضيء الظلام	١٤٣
وتلك الشمس التي تضيء النهار	١٤٤
وما بالك بتعاقب الليل والنهار	١٤٤
وذلك الماء الذي تشربه	١٤٥
وانظر إلى طعامك	١٤٦
وانظر إلى الإبل	١٤٧
«من ذا الذي هداك النجدين»	١٤٧
وخلاصة الأمر	١٤٨
*** الباب السابع: البناء المعرفي والثقافي**	١٥١
العلم هو الطريق لإدراك الجمال ورقي الروح	١٥١
العلم هو مصدر النور	١٥١
وأفضل العلوم	١٥٢
العلم له حلاوة في القلب	١٥٣
طالب العلم	١٥٣

الموضوع	الصفحة
العلم مصدراً لتحقيق التوازن النفسي والروحي	١٥٣
عند طلب العلم	١٥٤
وأفضل وسيلة لإتقان المعلومة	١٥٤
شهوة الفضول نحو معرفة الجديد	١٥٥
الانفتاح والتطور نحو الجديد: هل هما آفة هذا الزمان؟	١٥٧
المعرفة النافعة والمعرفة الضارة	١٥٨
نتيجة الاستغراق في العالم المادي	١٦٠
كيف ننجو من هذا التيه والفوضى المعرفية؟	١٦١
هل هذا هو الذي يسمونه تقدماً؟	١٦٢
ماهي المعرفة المفيدة وأنواعها في الإسلام؟	١٦٣
أين أنت مما عرفت وحصلت وتعلمت؟	١٦٥
* **المصادر والمراجع**	١٦٧
* **الفهرس**	١٦٩

* * *

المؤلف

د/ محمد عبد المحسن إبراهيم أبو شعيشع شرف الدين

- كاتب وباحث في الدراسات الإسلامية والأدب المقارن وعلم النفس ومترجم من وإلى اللغة الروسية.
- ليسانس اللغة الروسية/ كلية الألسن/ جامعة عين شمس ٢٠٠٨.
- ماجستير اللغة الروسية وآدابها/ كلية الألسن/ جامعة عين شمس/ ٢٠١٤.
- دكتوراه اللغة الروسية وآدابها/ كلية الألسن / جامعة عين شمس/ ٢٠١٨.
- عضو هيئة تدريس بقسم اللغة الروسية/ جامعة عين شمس.
- حاصل على المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية.
- حضور العديد من الندوات والدورات في مجال الدراسات الإسلامية والأدب واللغات والترجمة والتدريس والنشر الدولي والتعليم الإليكتروني والبحث العلمي وأخلاقياته واستخدام التكنولوجيا.

- محاضر سابق بقسم اللغة الروسية/ كلية الآداب/ جامعة القاهرة (انتداب: ٢٠١٨ ـ ٢٠٢٠).
- محاضر ومترجم سابق لدى العديد من المؤسسات ومراكز اللغات والترجمة.
- مترجم ومراجع ومشارك في ترجمة العديد من الكتب والمقالات.
- البريد الإلكتروني:

dr.m.m.sharaf@gmail.com

alsun.russian.ru@gmail.com

mohamed.ibrahim@alsun.asu.edu.eg

* * *